لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٢ من السنة ٧ عن شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٢٩

اللغة العربية والتجدد

La Renaissance de la Langue Arabe

هي اللغات ترى في سيرها عبرا !

كثر التسآل والترداد . في هذه الايام ، عن اللغة العربية ، وتجددها ، وموافقتها لاهواء ذا الزمان ، ومقتضياته . الحقيقة هي ان العربية في حاجة الى التجدد . ولكن ليس الى ذلك المقدار الذي يتوهمه المجددون المغالون والمتطرفون ، بل الى مقدار معلوم ، ومحدود الآن ؛ أما في المستقبل . فتحتاج الى الضروري من التعديل ، شأن اللغات الاخرى الحية . وهي ليست كما يقول ويتشدق عنها الرجعيون المتعنتون ، الذين يعتونها بكل ما وسمته المعاجم من الالقاب الضخمة ويزعمون انها بغناها ، وكثرة مترادفاتها ، ومتواوداتها ، ومفرداتها ، قادرة على ان تقوم بلوازم هذا العصر . فهي وان كان لها بعض ما يتوهم من الغنى ، ففيها كثير من الالفاظ والاصطلاحات والمفردات ، وحائزة درجة عظيمة من الرقة والجمال ، في غوز من الاوضاع العصرية نعلنا ان لا نفتقر كثيرا ، ولاتوهم ملهو مناف للواقع ، بعيد عن الحقيقة ، بعد الثريا عن الثرى وتؤخذ بقول احدهم :

ان الذي خلق البرية كلها جعل الجمال وسره في الضاد؟

أهذا تخيل ؟ أسفاسف ؟ أجهالة ؟ ـ العربية ليست باكثر جمالا ، واعز مكانا ، واوفر غنى من اليونانية او اللاتينية أو الفرنسية مثلا . ولكل لغة مميزتها الطبيعية . وكلنا نعلم ان العربية جمدت في مكانها ، اربعة قرون ، فلم تتحول عما كانت عليه . وليس لدينا من شك ، ولولا قرآن تتلى آياته ، صباح مساء ، بين عرب وعجم ، لذهبت اللغة الفصحى الى سقر ، وحلت مكانها اللغة العامية . ولولا تيسير المولى الرحيم بعض نوابغ اخذوا بناصرها ، لظننا ان قد قضي عليها . ولذا تقدمت يسيرا . ولكنها لم تزل في سلم التقدم . فاذا لم نعمل لها ، وجدنا حيث نحن ، ذهب تعبهم سدى !

انقضى زمن السلف ، ودالت دولتهم ، وتركوا لنا تراثا : هو لغتهم !.. هذه اللغة التي عرفنا كيف نبذ اهلها ، يوم كان لايزال لهم بقية سلطة . فنبغ منهم الاخطل والمعري والمتنبي وغيرهم . فتاسفوا عرب الجاهلية في لغتهم ، واصابوا منها اكاليل المجد والفخار . وما درس ملكهم ، وذهبت دولتهم ، حتى جدنا نحن لجمودهم . نعم . ان اكثر اللوم يقع على تلك الجماعة . التي حلت مكانهم ، حكومة بني عثمان ، والتي وافقها أن تنزع من البلاد . التعليم والثقافة ، ليتسع المجال في حكم بلاد رماها سوء الحظ والدهر بين براثنها فريستها باردة . وكم ، وكم وضعت من العراقيل في سبيل تقدم الشعوب التي تحت امرتها ! فهؤلاء « التتار » بحكم الطبع الذي فيهم ، وحب التملك والسلطة جاروا على البلاد الناطقة بالضاد جورا هائلا . فعفت آثار المدارس ، واندرس التعليم ، وسقط الشعب في هوة الجهل الفظيع . وأنى له ان ينهض ، وعدوه الجاهل بالمرصاد يزرع بذور الفتنة ، ويدس سم الجهل والتعصب . غير ان حكمة الله العادلة ، ما لبثت ان نفخت في الغرب الغيرة على هذا الشرق المسكين فهب بعض ابنائه ، وقد درهم ! واتخذوا سورية اول هدف لهم ، لما يربطهم بها ، من الذكريات الدينية ، ونزلوا منها على الرحب والسعة ، فنتج من ذلك أن تمكن السوريون من ان « يلعبوا بدورهم التاريخي » ، ويساهموا كالامم الشرقية على الترقي ،

واقتباس التمدن الغربي . وعلى يد هؤلاء الفرنجة ، انتعشت اللغة العربية انتعاشا ، ذلك الانتعاش الذي لا يزال يغادرها ، ونرى آثاره بادية الى الآن . ولكن يا أسفاه ! بعد هذه النفضة الغربية ، لم يصلها من ابناء الشرق إلا هبات قليلة متقطعة ، كأن البلاد عدمت ابناءها ! وما اكثرما نسمع الآن من جعجعة في الجرائد والمجلات بجمال اللغة العربية ، وما تحويه من البدائع ! فما اشبهنا بذلك المرء يلعب بالدنانير التي بين يديه ، ولا يعلم سر استعمالها لفائدته ، فانك تجد بطون المهارق محشوة شدوا بغنى هذه اللغة ، وما تضمه من مترادفات ، ومتواردات واشتقاقات ، ونفوذ القياس واطراده في اغلبها كأن هذه الشقشقة كافية ان تبعثها ، وتنفخ فيها روحا جديدة ! معاذ الحق ! لقد ساء فألنا ، وأردنا لها الموت من حيث توهمنا لها الحياة !

قلنا اننا ورثة هذه اللغة ، ومن آل اليه أمر بالوراثة ، تصرف فيه كيفما شاء وأنى اراد ، فلم لا نتصرف فيها حسبما نريد ، او ليست اللغة ملكا مشاعا لنا ؟ أم نحن ملكا لها ! أكان العرب الذين اورثونا اياها ، ارقى منا واكثر تمدنا منا ؟ لا ! اذن ما الذي يمنعنا من فعل ما فعلوا — وليس هنالك من مانع جوهري — فنغير ما حسن لدينا تغييره ، اذا بدا لنا فائدة تجنى منه !

قد يخال القراء اننا نتعى على العربية ، ونذمها ، ونتهمها بالفقر ، وما هي براء منه بيد ان الامر بعكس ذلك كل العكس . نحن لا نتقول عليها مطلقا . ولكننا نعلم حق العلم ، ان لا حياة للغة ما لم يحاول ابناؤها التجديد فيها . فاذا وضعوا نصب اعينهم القديم والهوه ، فقل على تلك اللغة الف سلام ! ولكننا نعلم ايضا ان العربية هي الآن على مفترق الطرق ، ولا يمكنها ان تصبر كثيرا على زمر الزامرين المتقعرين ، وليست في موقف يسمح لها بالانتظار والتمهل ، الى ان تفيقنا النخوة — والله وحده يعلم متى ! — فنستعد لتنفخ فيها روح التجدد ونضرم فيها هبة الحياة ، فاذا — لا سمح الله — وجدنا انفسنا عاجزين عن القيام بحاجاتها وتأهيلها بمقتضى ضروريات العصر ، بالمفردات العلمية ، فنحن احرياء بترك هذا التراث والبحث لنا عن لغة تستوفي كل الشروط ويمكنها ان تقوم بمطلبات العصر مع أسهل وجه . فلماذا نقبح ونستثقل فنرضى ان تكون لغتنا

العزيزة تحت مستوى اللغات الاخرى ، وبعد ان كانت سابقة مقلدة ، أصبحت لاحقة مقلدة ! هاهوذا تاغور شاعر الهند الاكبر ، قد رفع مقام لغته وشأن امته وجعلها عاليا بين الغربيين ، وسحرهم ببنات افكاره ، فترجمت تآليفه الى كثير من اللغات الاجنبية ، حتى الى العربية ، واشتهر شهرة واسعة ، وليس من متعلم في اوربة لم يقرأ منه شيئا ، او لم يسمع بصيته على الاقل ، وها هوذا قد نال جائزة نوبل منذ سنوات عدة ، فهل من أديب او مؤلف في العربية عصري ترجمت مؤلفاته او بعضها الى لغة اوروبية واحدة ؟ ولا نقول نال بها جائزة نوبل وانما نود ان نعلم أنال شهرة فيها ، ولو طفيفة ! لا نسأل عن الجواب ، فهو معلوم للجميع ... واذن من أولى باللوم والسوق بالتقريع ؟ أهذا دليل على عقم العربية ، أم على عقم ما تنتجه قرائح الكتبة عندنا ؟ لا شك ان امر اللوم يقع على الكتبة ؛ فليس من يكد نفسه ليستخرج من أعماق روحه شيئا مستقلا عن القديم موسوما بطابعه الخاص ، ممتازا عن غيره ، ولم يحتذ فيه اسلوب قدماء كتاب العربية في التعابير والوصف وغيرهما ، بل يشق له طريقا من جوفها فيخرج ماهو شاعر به ، لا ما صاح به الثعالبي والاصبهاني وبديع الزمان والبحتري والحريري والجاحظ وسواهم من الاعلام ، على ان من كتابنا الآن ، من يسير على الطريقة الاوروبية الصميمة ، حتى في التعابير ، وهذا ماجر بلغتنا ، بغض النظر عن ان هذه في مواضع كثيرة ابعد من ان توافق اللغة العثمانية ، ونرى الافضل اتخاذ الوسط بين طرق الافرنج وتعابيرهم وطرقنا العربية وتعابيرها ، وقد قيل « خير الامور الوسط » .

ليس في العربية عقم وليست هي دون باقي اللغات المعروفة ، فاذا ما كتبنا يوما من الايام ، في العلوم التي انفتح تيارها من اوروبة علينا ، ولم نجد لبعض المفردات والاصطلاحات ، والتعابير اوصافا لم تعرفها العرب ، فلم لا نذهب الى الاستعارة فنأخذ تلك الكلمة ونكيفها ونصقلها لتوافق العربية ، او نذهب بأن نجعل الاشتقاق فيها قياسيا ، وان نفتح باب التعريب على مصراعيه — ذلك الباب الذي سد في وجوهنا ، كما سد باب الاجتهاد في الدين — ، وبأن نفهم ان مفردات اللغة انما تتقرر باستعمال العامة الفهم إلا مصطلحات العلوم والفنون فانها تتقرر بوضع

الخاصة ، واستعمالهم اياها ، فيجب اذن ان ندخل في معاجمنا كل ما وقع فيه التفاهم بين العامة من الكلمات الاجنبية التي لا نجد ما يقابلها في الفصحى فنثبتها في المعاجم كما تكلمت بها العامة ، او نتخذها بعد شيء من الصقل والتحوير وإلّا اصبحت لغتنا جامدة جمود عقولنا في الامور الدينية(١) والحقيقة التي لامراء فيها ، ان لغتنا لاتزال جامدة لم يصبها شيء من التجديد إلّا النزر اليسير ؛ ومما يضحك ويؤلم معا ؛ اننا اصبحنا عبيدا للغتنا ! ذلك شيء لم يسمع بمثله في الاساطير فكيف بالحقائق المرة ؟!... اجل ! اصبحنا عبيدا لاولئك العرب الذين كتبوا وحوروا في العربية ما شاءت ارادتهم وسولت لا للغتنا فقط !!!! ثم ناتي امامهم ونقدم لهم بخور التكريم ، فلا نخرج عن حدود ما كتبوا ـ ولا نغير من العربية ما نرى ان وقت القائه في اليم قد حان وكذلك التخلص من حمل عبئه ـ كانهم من طينة غير طينتنا ! او جاز لهم مالا يجوز لنا ؟ أيجوز لهم ان يهدموا العربية ويتلفوها ـ اذا ارادوا ـ أما نحن فلا يجوز لنا ترميمها ـ اذا رأينا مباوي التلف والتصدع تحتها فاستفقناها ؟ ! عجيب والله ان نرى هذا التقهر والتخاذل من جانبنا ؛ وغريب ان تنقاد لاوامر وتواه طوتها الاحقاب ، ومرت عليها الاجيال ونحن لها عبدة وعبدان ... !!

خصت العربية بسلاسة وانسجام وغنى في الالفاظ ، وانما يعوزها الكثير من الاصطلاحات الفنية والعلمية والادارية وغيرها لتعاصر غيرها فهي سهلة القياد لينة التكييف .. قلنا ؛ انها ليست فقيرة وليس فيها عقم البتة ؛ اذا عرفنا كيف ندبرها ونستنبط مانحن في حاجة اليه ، وانما دواعي الكسل والجمود والتعصب القبيح ، وما يطيل به من يريدون للشرق التأخر وحبوط العمل ، تثبط عزائمنا وتميت هممنا ، وتجعلنا لا نرى ابعد من انوفنا ! فاذا ما حاولنا هنيهة ان نرفع هذه الغشاوة قليلا ؛ اذ بهذه الغازات المخدرات تنزل ستارا كثيفا علينا فنعود الى مضاجعنا ونحن نتثاءب ونهتف بفتى العربية وعصريتها ؛ ونردد ما يقوله بعض ابناء الغرب عن كتاب العرب ، فنشبه المتنبي بنيتشه ، ونقرن ابن خلدون

(١) جواب الاستاذ الزعاني على اقتراح الاستاذ الغربي ـ الكلمات غير القاموسية ـ مجلة المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، الجزء ١ ـ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ ، صفحة ٣٣ .

بمكيافيلي . نساوي المعري بدانتي البجيري الخ ... وقد قرأت في صحيفة اجنبية مقالا لاحد علماء المشرقيات ينحي باللائمة على بعض المستشرقين الذين لاهم لهم سوى كيل المدح والثناء جزافا . لعلماء وشعراء العربية . فيرفعونهم الى اسمى مكانة وارفع منزلة . وذلك ليس حبا لاولئك الفطاحل . بل تبعا لاهواء سياسية . فهم يرجون الشرق الخمود والجهالة . يعلمون ان مما يثبط همم الشرقي الثناء والفخر . فالشرقي بعكس الغربي اذا ما مدح همدت عزيمته . واعتاض من الماء بالسراب . فلا يعمل ولا يجد! هذا ملخص كلام هذا العالم الجليل ـ ولا يحضرني الآن اسمه ـ واني ارى الحق سع جانبه وقد اصاب كبد الحقيقة . فعسى ان لا نغتر اذا ما اطلعنا على بعض عقود ثناء صيغت في الغرب للعربية واعلامها . وشر ما في الامر ان هؤلاء الخدعة يستترون وراء اشرف رداء واجمله فالتردي بلباس الاستشراق واتخاذه درعا تخفي وراءه مقاصدهم الخفية والسياسية دناءة وضلالة فمن المستشرقين الكرام خرجت نفحة العلم الاولى في الشرق ـ منذ مائة عام تقريبا ـ وهي تلك النفحة التي ملأ الآن شذا عطرها ارجاء بلادنا العزيزة . وهذي آثارها ظاهرة لكل ذي عينين . فهم قد امتدوا الى اللغة العربية اجل خدمة . وهاهم اولاء كما كانوا يخدمونها للان . فلغتنا مدينة لهم بما كشفوه ونبشوه من كنوزها الثمينة . ولولاهم لما وقفنا على شيء منها ـ وهؤلاء الذين اتخذوا من علم المشرقيات فترة استتروا فيها . يمدحون كل شيء قديم . وان ثبت لهم عدم صحته للحياة الان . ويتهمونه بكل جميل وحسن . في الهند والصين مثلا يمدحون البوذية والبرهمية والكنفوشيوسية . كي يظن اتباع هذه وتلك . انهم اعلى من الاوروبيين بدينهم واسمى بمعتقداتهم ولغتهم وآدابهم . هم يحاولون جهدهم ليحولوا بينهم وبين ان يروا تأثير التمدين المسيحي الذي انقذ اوربة من الضلال وحضر شعوبها . يحاولون جهدهم ان يخفوا عنهم ما تفيض به من الاختراعات لئلا تبهر عيونهم بذلك ويظهر لهم في اي ضلال هم . ففي الهند تعمل الآن المسز بزانت Mrs. Besant التي افضت الى احط مما أخرجه العقل البشري . وانتن ما ولده ذهن انسان من الفلسفة . ونشرت مبدأ سافلا قذرا . زعمت عنه كل

حسن وخلاب . مبدأ التيوصوفية Théosophie(١) . ووجدت لها اتباعا — وما أكثر ما يجد الشيطان خدما ! — هي وامثالها الذين يدعون الاستشراق . في الهند يمدحون هذا المبدأ الساقط . ويعظمونه ويظهرونه بمظهر الاعتقاد الاسمى . ويفضلونه على المسيحية . وانخداع الاتباع يعود الى تعصبهم . وقلة تبصرهم فيعتقدون ما طلبه اولئك الخدعة . ويرددون كالببغاء اقوالهم الخرقاء والجوفاء .

من اهم الذين تلاعبوا في الآداب العربية . المختلق الكذابة رينان . فهذا والمتأثرة : الدكتور غوستاف لبون Dr. G. Le Bon . وغيرهما . حاولوا في كتاباتهم غش الشرق وذر الرماد في عيون ابنائه . فتركوا صيتا جيدا لهم واختلقوا اختلاقات كثيرة ومما كتبوه عن العرب ليس فيه من الحقيقة والصواب إلّا عشرة اجزاء من المائة !!! وامام هذه الحقيقة لا يسعنا ونحن خلفاء ان لا نتناول امثال كتابات هؤلاء . وخصوصا حيث يكثر سيل الثناء والمديح . إلّا بالتمحيص فلعل بين القسم سما نقيعا ؟ ثم اياكا وان تنبح الى الضلال والتعصب الشائم . فنتهم من يمحضونا النصح ويبينون لنا محاسننا ومثالبنا . بما هم براء منه . ولرب متهم بريء !

***

نرى أن تقدم اللغة الفصحى . وتقريب العامية منها . يرتكز على امور أهمها اعمدة ثلاثة . هي : المدرسة — الشعراء والادباء — المجمع العلمي — ونحن نبسط فيما يلي آراءنا فيها . وعسى ان تقع من الادباء الكرام موقعا حسنا .

(١) لا يغربه عن بالنا ان التيوصوفية هي غير الصوفية التي كانت عند العرب ، امثال طريقة الغزالي وعمر بن الفارض وغيرهما من المتصوفة الاسلاميين ، ولا يغرنا ادعاء بزانت واذنابها وما التف حولهم بان الاصل واحد ، فهذا غش ، ونفاق ، وتضليل !! من اذناب بزانت في مصر من ادعوا هذا وتلمظوا به ، وقد وجدوا اذنا صاغية هناك من الكثير حتى من الجرائد والمجلات العربية ! فاننا في الشرق ، والا سماء تأخذنا نشوة الفخر والعظمة ويستخفنا المديح والثناء ، دون نقد أو نظر وتبصر !! وهذه احدى علتنا الاجتماعية .

(م . س . كيد)

(لغة العرب) الذي عندنا ان التصوف والتيوصوفية من مادة واحدة ، الا ان بعض المتأخرين امثال بزانت عدلوا عن المعنى الاصلي الى معنى جديد . راجع لغة العرب ٦ : ٢١٤ و Papus. - Traité Méthodique de science occulte.

اولا : المدرسة

المدرسة هي الاساس الذي ترتكز عليه الآداب . بل هي مهبط الوحي . والقلب الذي يدفع دم العلم الجديد في اعضاء الشعب . فاذا اسيء التصرف فيها . وقفت الحركة واتت بأقبح العلل وافسد النتائج فمن هذا القبيل يجب على الحكومات ان توجه اليها اقصى انتباهها وعنايتها . فلا تلتفت الى ما منه يمكنها زيادة دخلها فهو امر ثانوي . بل الى المدرسة التي هي الامر الاولي فمن ورآء نشر العلوم وارتقاء الآداب يحصل تثقيف من ينتج للحكومة ادخلا حسنا (ايرادات حسنة). عناية السلطات في الشرق بالعلم قليلة. فما كان قبل الحرب لا يزال معمولا به الى الآن . اللهم إلا بعض اصلاح يسير ومما يؤلم ان انفذ سهم واضر بصيب التربية وآدابها في الصميم . وليس ويا للاسف من يسعى في تضميد هذا الجريح المثخن . فالطرق التي تدرس بها العربية عقيمة للغاية تجعل الذي يتعلمها كارها لها اشد الكره . وجميع الطلبة في المدارس يكرهون ساعة العربية ويحاولون جهدهم ان يتخلصوا منها . ومنهم من يدرس في اثنائها درسا اخر بالخفية عن المعلم طبعا — ولا يعير اقل انتباه الى الاستاذ وتعليقه . وفضلا عن ذلك ان ما يعطى لهم كمنتخبات من الآداب العربية . لا يظهر منها إلا صحيفة سوداء قاتمة مشوهة تزيد كره المتعلم لهذه اللغة . فما تكاد ايام دراسته تنتهي حتى يقذف بكتبها هذه الى اتون نار ! ناظرا اليها نظر الصحيح الى الاجرب . وما تكاد تحدثه عنها حتى يبتعد عنك كأن مجرد ذكرها يخدش اذنه وسبب هذا ان من يؤلف هذه الكتب الدراسية عندنا . ليس له اقل إلمام بعلم التربية Pèdagogie وعلم النفسيات Psychologie . أو لا يريد اعانة نفسه اقل عناء ومشقة بينما نرى كل امثالها في الغرب يعلمها اساطين هذين العلمين . ولا يقبل كتاب للدراسة ما لم يكن مستوفيا جميع الشروط .

لا ازال اذكر كيف كنت انا وكل الطلبة نكره الدروس النحوية . ونشعر بسأم في ساعة درسها . وما كنا لنطيق درس تلك الجداول الكثيرة التعقد والتشويش . القليلة الجدوى وما يوافي الامتحان . وينقضي حتى يسرع كل منا الى كتبه العربية فيستل منها كتب النحو والصرف وغيرها . فيطعمها

النار ! وبئس القرار !

كتبنا الاجرومية ما هي إلا حشو في حشو . بينما نرى امثالها الاوربية منسقة اتم تنسيق ومبوبة ابدع تبويب ومرتبة من الاسهل الى السهل ومن الاصعب الى الصعب احسن ترتيب فليس ثم حشو وعجمة كلام دونت فائدة وايجاز بحيث يجب التوسع وبالعكس ! .... تناول اي كتاب شئت من كتب اللغة الافرنسية لهذا الفرع الدراسة الثانوية . تجده يضم اصول هذه اللغة واحكامها بل يتعداها الى ترجمة حياة كبار ادبائها وشعرائها وفلاسفتها وما كتبوه والقوه وقد يضم اليها خلاصة تاريخ اللغات الاخرى كاليونانية واللاتينية والالمانية وغيرها مع خلاصة ترجمة حياة لعلماء كل لغة من تلك اللغات وفلاسفتها وشعرائها واشهر كتبهم . ثم يشرح فيه تاريخ الافرنسية واشتقاقها من اللاتينية أمهـا وتطورها فرقيها . هذا الكتاب هو عبارة عن معلمة « دائرة معارف » صغيرة من اللغات وتطورها وعلومها آدابها وبلاغتها وعلومها بيد حين ان اهم كتاب اجرومية ظهر في العربية لا تجد فيه غير اصول هذه اللغة واحكامها وما قال سيبويه وابو عبيدة . وابن الانباري . وغيرهم من ائمة النحو مكدسة تكديسا بدون روية ولا تفهم . وليس من خلاصة ترى فيها ترجمة او حياة الاحد اولئك الاعلام إلا ما ندر او كان هفوة قلم . ولا شيء هناك يستفاد من نشأة العربية وتطورها وآدابها . فشتان ما كتبهم وكتبنا !..

قلنا ان ما يعطى في المدارس من آداب العرب او تاريخها ليس إلا صحيفة سوداء خرقاء بعيدة عن ان تدعى بآداب او تاريخ وهي عبارة عن شتات «منتخبات» جمعت من هنا وهناك حسبما شاءت المصادفة وضم بعضها الى بعض دون تعقل وتبصر ! واكثر هذه المنتخبات ليست من طرف العربية ولا من غرر تآليفها Chefs-d'oeuvre كيف نطلب اذن ان نجد بين المتخرجين في المدارس الاجنبية وسواها من يعشق العربية ؟ بل من يشعر بأقل ميل اليها وهذه حالة كتبها وصفتها ؟ انا نرى الحق بيد جانب من يعشق لغة اجنبية ويهوى آدابها فانها اجدر من العربية بحبه لما تبعثه بيد نفسه من الاستهواء بها وما تحويه كتبها الادبية من صورة جذابة لادابها وتاريخها الرائع! كل ما بين يديه يمتاز صافي

العربية بوجوه حديثة

ان تاريخ آداب العربية لم يظهر الى الآن بالمعنى المعروف به في الغرب اي Histoire de la Littérature ولاسيما ما يوضع منه بين ايدي طلبة المدارس . هناك كتاب تاريخ آداب اللغة الفرنسية للابيل كلفه Abbé J. Calvet المسمول به في اكثر المدارس الثانوية . وقلبه هنيهة . فانه يفيد الطلبة فضلا عن افادته اي امرئ كان . فهو قد قسم كتابه على طريقة عصرية ابتكرها هو وجعله على جزءين احدهما تاريخ للاداب الفرنسية منذ اقدم عصورها قبيل شارلمان الى عصرنا هذا . والثاني حوى منتخبات جليلة تأييدا لكل فصل من فصول الجزء الاول واحكامه . وفي نهاية كل ترجمة علم من اعلام الفرنسيين وقد وضع قائمة للمستندات التي يعتمد عليها ليقرأها المطالع ويرجع اليها ان شاء ان يتوسع او يتخصص في هذا الموضوع . هذا الكتاب تحفة من تحف العلم والطرافة . فمتى تجد في العربية شبيها له ؟!

خذ ايضا قاموس لاروس Larousse تجد قد ضرب في كل فن بسهم جامعا لاشتات الآداب والتاريخ والعلوم جميعها حديثها وقديمها ولآخر الاختراعات . يضمين دفتيه ايضا طائفة من الخرائط الجغرافية الحديثة ومعلمة (دائرة معارف) صغيرة مفيدة . ولا تضع يدك عليه وتقلبه في اي موضوع تطرقه وتود ان تتفهم عنه شيئا حتى تجده تحت نظرك موضحا جليا . ولكن باختصار . فمثال هذا المعجم معدوم في العربية . وخلاصة ما عندنا منها — من معاجم مدرسية او غيرها — لا تتعدى ان تكون جامعة لكثير من كلمات غير مستعملة خشنة اللفظ ثقيلة على السمع صعبة المخرج وقعت في صفحات عديدة لتأخر عقلية جامعيها ومنسقيها وتوهمهم ان الطلبة او عامة الناس في احتياج اليها . بينما هي خالية من كثير من كلمات مستعملة جدا « عربية فحة خالصة استعملها العرب ووردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين ... واخرى عربية المادة هي كلمات اصطلاحية فنية او ادارية . واخرى عربية المادة ولدها المتأخرون والخ ... (١) ... فلو استغنوا عن تلك الكلمات الحوشية . واستبدلوا هذه بها لكفوا الطلبة

(١) اقتراح الاستاذ المغربي « الكلمات غير القاموسية » في مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ جزء كانون الثاني — صفحة ٣١ .

والناس مؤونة من التعب عظيمة !

معاجم العربية لا تتطرق ابدا الى غير الكلمات العربية التي نشرها قدماء اللغويين في معاجمهم وتعف عن ادخال كلمات لم يذكرها هؤلاء إلا نادرا . ثم هي لا تحوي شيئا من افذاذ اللغة وفلاسفتها وتأبى عليهم بل تضن على من كان السبب في رقيها ببضع وريقات . مع انهم من الاهمية بمكان عظيم . وعليه نجد نواقص المعاجم في العربية عظيمة وكثيرة جدا تحتاج الى درس طويل واف وعسى ان يعنى العلامة البحاثة الاب انستاس ماري الكرملي بنشر ما يبرد الغليل منها ويفيد الطالب والباحث معا فهو العليم الخبير بعلل وادواء اللغة الكريمة ومعاجمها

بسطنا ان النقصان عظيم في الكتب المدرسية لا يتمشى والروح العصري الآن ولا سيما بعد ان صار من الضرورة في شرقنا العزيز تعليم اللغات الاجنبية في المدارس . ومن تدرب على تلك الطريقة من التعليم او ذاق حلاوتها ولو قليلا منها صعب عليه ان يعود الى طرق بالية ومناهج عقيمة مملة جافة المذاق .

سر تفوق الافرنج علينا في هذا الباب لا يعود إلا إلى علم نشرهم كتبا للتدريس قبيل الدرس العميق . ثم هم يشيدونها على اساس متين من ذلك اولا : علم التربية Pédagogie ثانيا : علم النفسيات Psychologie أما نحن فنأبى ان نمارس طرقهم ونعف عنها لجمودنا وكسلنا وتعلقنا بما اقره قوم لا يعقلون ! انقرضوا مع اجيالهم ولم تبق فائدة لاساليبهم في هذا العهد فان كانوا قد افادوا في عصرهم فهم لا يفيدوننا اليوم . المدارس هي الروح التي تبعث في التلميذ العلوم وهي الاساس الذي نشيد عليه رقينا وتقدمنا . فاذا اسأنا وضع الاساس فقد استحق البناء الهدم ! اوليس القصر الذي يشيد على الرمل تسقطه الزوابع والارياح ؟ هكذا نحن لا نعلم العربية على اساس متين فاذا ما خرج الى الميدان من اتقنها وصادمته التجارب وجد ان انته تحتاج الى جهد كثير فيذهب دبيب الكره الى قلبه فيقلعها منه ويتحول الى اللغة الاجنبية التي يميل اليها ويصبو قلبه الى اجتلاء محاسنها فيذهب جهد الاساتذة هباء باطلا !!

هذه اهم ما في العربية من نقائص وعوج وهي اساس الجميع فلتتحول الى ما يليها (الباقي للتالي) ميشيل سليم كعيد